بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، مُكْرِمِ النَّاسِ بِبَعْثِ النَّبِيِّينَ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَلِيُّ المُؤْمِنِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾[١]، مَنْ قَالَ عَنْهُ رَبُّهُ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢]، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ،

فَاتَّقُوا اللهَ وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّهِ وَمُصْطَفَاهُ ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾[٣].

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ مِنْ شَأْنِ الوَالِدِ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ النَّاسِ رَحْمَةً بِوَلَدِهِ، وَأَحْرَصَهُمْ عَلَى طَلَبِ المَنْفَعَةِ لَهُ، وَيَغْلِبُ أَنَّ الإِنْسَانَ لا يَرْجُو الخَيْرَ لأَحَدٍ أَكْثَرَ مِنْ نَفْسِهِ إِلَّا لِوَلَدِهِ؛ فَتَجِدُهُ يَرْجُو لَهُ مَوَاهِبَ أَكْثَرَ مِنْ مَوَاهِبِهِ، وَعِلْمًا أَكْثَرَ مِنْ عِلْمِهِ، وَصِحَّةً أَكْثَرَ مِنْ صِحَّتِهِ، وَمَالاً أَكْثَرَ مِنْ مَالِهِ، وَمَنْصِبًا أَكْبَرَ مِنْ مَنْصِبِهِ، يَرْجُو ذَلِكَ كُلَّهُ صَادِقًا مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهِ غَيْرَ مُتَكَلِّفٍ أَوْ مُكْرِهٍ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[٤]، وَقَدْ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ فِي خَاتِمَةِ آيَةِ المَوَارِيثِ ﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[٥]، وَإِنَّ الوَالِدَ قَدْ يَفْعَلُ مَا فِيهِ مَشَقَّةٌ عَلَى وَلَدِهِ مِنْ حَيْثُ الظَّاهِرُ، وَلَكِنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ طَلَبًا لِلْمَصْلَحَةِ لِذَلِكَ الوَلَدِ؛ فَتَجِدُهُ يُلْزِمُهُ بِمُذَاكَرَةِ دُرُوسِهِ أَوَّلًا بِأَوَّلٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَلْعَبَ، وَقَدْ يُؤَدِّبُهُ إِنْ وَقَعَ مِنْهُ تَقْصِيرٌ وَالوَالِدُ يَتَأَلَّمُ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَأَلَّمُ الوَلَدُ، فَالتَّرْبِيَةُ وَطَلَبُ المَصْلَحَةِ لَهُ تَقْتَضِي ذَلِكَ، وَيَأْخُذُهُ

(١) سورة التوبة/ ١٢٨.
(٢) سورة الأنبياء/ ١٠٧.
(٣) سورة آل عمران/ ١٣٢.
(٤) سورة الروم/ ٣٠.
(٥) سورة النساء/ ١١.

إِلَى الطَّبِيبِ وَتَجِدُهُ يُمْسِكُهُ لِيُعْطِيَهُ الطَّبِيبُ حُقْنَةً أَوْ شَيْئًا مِنَ العِلاجِ يَكُونُ شَدِيدًا عَلَى النَّفْسِ، وَالوَالِدُ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ مَشَقَّةً أَكْثَرَ مِنَ المَشَقَّةِ الَّتِي يَجِدُهَا الوَلَدُ، وَلَكِنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ طَلَبًا لِشِفَائِهِ وَصِحَّتِهِ؛ فَكَانَتِ المَصْلَحَةُ مُقَدَّمَةً عَلَى العَاطِفَةِ.

وَلا يَشُكُّ عَاقِلٌ – عِبَادَ اللهِ – أَنَّ الَّذِي يَفْعَلُهُ الوَالِدُ هُوَ الصَّوَابُ، وَهُوَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَهُ كُلُّ وَالِدٍ رِعَايَةً لِوَلَدِهِ، وَقِيَامًا عَلَى مَصْلَحَتِهِ؛ فَلا يَخْطُرُ بِبالِ الوَالِدِ أَنَّ ذلِكَ الَّذِي فَعَلَهُ قَسْوَةٌ، وَلا يَخْطُرُ عَلى النَّاسِ إِلَّا أَنَّ فِي ذَلِكَ المَصْلَحَةَ وَالرِّعَايَةَ الوَاجِبَةَ، بَلْ يَعِيبُ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَيَعِيبُهُ النَّاسُ إِنْ فَعَلَ غَيْرَ ذَلِكَ، وَذَلِكَ شَأْنُ الوَالِدِ مَعَ وَلَدِهِ، فَكَيْفَ بِشَأْنِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ الَّذِي شَهِدَ لَهُ رَبُّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ خِطَابًا لِأَتْبَاعِهِ: ((أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ))، بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَأَحْرَصُ عَلَى صَلاحِ النَّاسِ مِنْهُمْ، وَاسْمَعُوا إِخْبَارَ رَبِّكُمْ فِيهِ وَشَهَادَتَهُ لَهُ ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾[2]، يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾[3].

وَقَدْ يَقَعُ فِي ذِهْنِ طَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ عَلَى جِهَةِ الوَسْوَسَةِ أَنَّ فِي أَمْرِ اللهِ عِبَادَهُ بِهَذَا الأَمْرِ أَوْ نَهْيِهِ لَهُمْ عَنْ كَذَا عَنَتًا وَشِدَّةً، وَأَنَّ فِي طَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا الأَمْرِ أَوْ فِي تَرْكِ هَذَا الشَّيْءِ عَنَاءً وَمَشَقَّةً، وَقَدْ يَغِيبُ عَنْ أَذْهَانِهِمْ أَنَّ السَّلامَةَ فِي الدَّارَيْنِ تَكُونُ فِي ذَلِكَ، وَالفَوْزَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لا يَكُونُ إِلَّا بِذَلِكَ؛ فَإِنْ كَانَ فِعْلُ الوَالِدِ مَا يَشُقُّ عَلَى وَلَدِهِ ظَاهِرًا أَحْيَانًا مَصْلَحَةً وَنَفْعًا لَهُ، فَهَلْ يَكُونُ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِلَّا مَصْلَحَةً لِلنَّاسِ! بَلْ إِنَّ الوَالِدَ قَدْ يَكُونُ فِيمَا يَفْعَلُهُ المَصْلَحَةُ وَقَدْ لا تَكُونُ؛ فَفِعْلُهُ اجْتِهَادٌ يَكُونُ صَوَابًا وَيَكُونُ خَطَأً، وَأَمَّا مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَلا يَكُونُ إِلَّا مَصْلَحَةً مُتَحَقِّقَةً وَصَوَابًا مَحْضًا ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾[4]، يَقُولُ الحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ

(١) سورة الأنبياء/ ١٠٧.
(٢) سورة النساء/ ٨٧.
(٣) سورة الأحزاب/ ٦.
(٤) سورة النساء/ ١٢٥.

سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ، وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ، يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾[١].

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

****

الحَمْدُ للهِ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَى، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ أَهْلِ الفَضِيلَةِ وَالتَّقْوَى.

أَمَّا بَعْدُ،

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَانْظُرُوا فِي وَصْفِ اللهِ نَبِيَّهُ ﷺ بِقَولِهِ: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ ﴾[٢]، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ بَيَانًا لَيْسَ مِنْ بَعْدِهِ بَيَانٌ لِعَظِيمِ حُبِّ النَّبِيِّ ﷺ الخَيْرَ لِلنَّاسِ، بَلْ لَيْسَ هُنَاكَ مَخْلُوقٌ يُحِبُّ الخَيْرَ لِمَخْلُوقٍ كَحُبِّ النَّبِيِّ ﷺ الخَيْرَ لَنَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ ﴿ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ ﴾[٣]، عَنَتُنَا وَالمَشَقَّةُ عَلَيْنَا أَفْرَادًا وَأُمَّةً؛ فَإِنَّهُ يَرْجُو لِكُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ؛ لِيَنَالَ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوابِ الآخِرَةِ ﴿ فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾[٤]، وَيَرْجُو لأُمَّتِهِ أَنْ تَكُونَ أُمَّةً عَزِيزَةً سَابِقَةً فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِنَّ تَقَدُّمَهَا مَطْلُوبٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ لِتَتَحَقَّقَ لَهَا الخَيْرِيَّةُ الَّتِي قَالَ اللهُ فِيهَا: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[٥]، وَإِذَا كَانَ الإِنْسَانُ يُحِبُّ والِدَيْهِ لِفِعْلِهِمَا الخَيْرَ لَهُ وَطَلَبِهِمَا مَصْلَحَتَهُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونَ أَحَبَّ لِلإِنْسَانِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ لأَنَّ مَا

(١) سورة النساء/ ٢٦ - ٢٨.
(٢) سورة التوبة/ ١٢٨.
(٣) سورة التوبة/ ١٢٨ .
(٤) سورة النساء/ ١٣٤.
(٥) سورة آل عمران/ ١١٠.

قَدَّمَهُ لَنَا أَكْثَرُ مِمَّا قَدَّمَهُ لَنا كُلُّ مَخْلُوقٍ، وَطَلَبَهُ لِمَصْلَحَتِنَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ أَعْظَمُ مِنْ طَلَبِ أَيِّ مَخْلُوقٍ لِمَصْلَحَتِنَا، وَحَلاوَةُ الإِيمَانِ فِي مَحَبَّتِهِ، وَمَاذَا بَعْدَ حَلاوَةِ الإِيمَانِ! يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: ((ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)) .

هذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾.(١)

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا

(١) سورة الأحزاب/ ٥٦.

وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.